أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

آيات الوصية

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182) }

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

الترابط بين الآيات

يبين الله في هذه الآيات أنه إذا كان أمر المساواة في الدية مما يُصلح المجتمع كله ويوصل إلى التقوى، كذلك أيضًا تشريع الوصية يصلح المجتمع الصغير وهو الأسرة الذي إذا صلح صلح المجتمع الكبير، وكذلك يوصل إلى التقوى.

فرض عليكم أيها المؤمنون إذا حضر أسباب الموت، كالمرض المشرف على الهلاك، وحضور أسباب المهالك، وكان قد {تَرَكَ خَيْرًا} [أي: مالا كثيرًا] فعليه أن يوصي لوالديه وأقرب الناس إليه بالمعروف، على قدر حاله من غير اسراف بحيث لايؤذي الورثة وهو الثلث، كما قال النبي لسعد بن أبي وقاص: "الثلث، والثلث كثير"، ومن غير اقتصار على الأبعد، دون الأقرب، بل يرتبهم على القرب والحاجة، وقوله: {حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو: الثابت، وقد جعله الله من موجبات التقوى.

ولما كان الموصي قد يمتنع من الوصية، لما يتوهمه أن من بعده، قد يبدل ما وصى به قال تعالى: {فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ} [أي: من بدل الوصية وغيَّرها إما بالتحريف والتغيير، وقد يكون بالكتمان، بعدما عقلها، وعرف

طرقها وتنفيذها} {فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ} أي الإثم على المبدل المغير، وإلا فالموصي وقع أجره على الله، {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته، {عَلِيمٌ} بنيته، وعليم بعمل الموصى إليه.
وأما مَن علم أن الوصية فيها حيف وجنف، وإثم، كأن يريد الموصي أن يفضل بعض الورثة على بعض، أو أن يحرم بعض الورثة، أو نحو ذلك؛ فينبغي لمن حضر الموصي وقت الوصية بها، أن ينصحه بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهاه عن الجور؛ وإن لم ينفع معه ذلك، فيمكن أن يتفق مع الورثة على تغيير الوصية بما يوافق الشرع والعدل، وهذا لا يكون عليه فيه إثم، ولا مؤاخذة {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} أي: يغفر جميع الزلات، ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه، رحيم بعباده، حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون.

هداية .... وتدبر

كُتِبَ عَلَيْكُمْ	أهمية الوصية، وتأكد ذلك من قوله: {كُتِبَ}، ومن قوله: {حَقًّا عَلَى المَتَّقِينَ} فهذا يُحرك النفوس للامتثال، والعمل بأمر الله بكتابة الوصية.
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ	الأفضل أن الإنسان يُبادر فلا يبيت إلا ووصيته مكتوبة عنده إذا كان عنده ما يوصي به؛ لأن الإنسان لا يدري ما يفجأه وينوبه، فقد يموت في لحظة أو في حادث، أو غير ذلك، ولا يستطيع حينها أن يوصي، أو حالته لاتمكنه من الوصية، وقد لا يكون بحضرته من يوصيه.
لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ	قدم الوالدين هنا؛ لأن الوالدين أحق وأولى بالصلة والإحسان، وهذا من البر بالوالدين، والإحسان إليهما في الحياة وبعد الممات؛ لأن الوصية تكون بعد الموت، وكذلك الدعاء، كما قال الله -تبارك وتعالى: {وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

	صَغِيرًا} [سورة الإسراء:24] فبعد ما أوصى بالبر والإحسان بجميع وجوهه وضروبه وصوره وأشكاله، جاء بعد ذلك بالدعاء؛ ليكون البر مُحققًا؛ وليستوفي ما وقع من نقص بالعمل الذي برهما به، فهو لا يستطيع أن يوفي مهما فعل.
حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ	خصّ المتقين؛ لأنهم هم الذين يقومون بحقوق الله -تبارك وتعالى-، ويُراعون حدوده.
فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ	مثلاً أوصى لبعض القرابة، أو أوصى ببناء مسجد، أو أعمال بر، ويأتي القائم على الوصية ولاينفذها بل قد لايقسم الميراث ويبقى موقوف لعشرات السنوات، ويموت أولاد المورث وقد يكونون في غاية الحاجة والفقر وهذه ملايين لم تُقسم ولا تُوزع، بل قد تضييع، ثم يكثر الورثة بعد ذلك فهذا هو الذي يتحمل الإثم، مع أن المشروع أن يُعجل الناس بتقسيم الميراث؛ لأن الميراث هو انتقال للمال من المورث (الميت) إلى الوارثين انتقالاً جبريًا.
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	تهديد مُبطن مغلف، وجاء بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت، فهو سميع للأقوال، وعليم بالأحوال، وما تُكنه الصدور، فهذا الإنسان الذي يُبدل هذه الوصية التي سمعها الله -تبارك وتعالى وعلمها وكذلك الله سمع وعلم بحال هذا المبدل المغير الذي أبدى لهم غير الحقيقة، فمعنى ذلك أنه يُجازيه على سوء صنعيه.
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ	فضيلة الإصلاح، وأهميته، لما فيه من العدل والتراضي والمناصحة.
فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	نفى عنه الإثم، وأثبت المغفرة والرحمة، وقد يكون هنا اجتهاد يُراد به الإصلاح، وقد تبقى بعض الأمور لا يتمكنون من تداركها وتلافيها، فالله -تبارك وتعالى- يغفر لهم ما يعجزون عنه، وهو رحيم بعباده.

آيات الصيام

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) }

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

الترابط بين الآيات

يبين الله في هذه الآيات أنه إذا كان تشريع القصاص يُصلح المجتمع كله ويحقق التقوى، وتشريع الوصية يصلح المجتمع الصغير وهو الأسرة، ويحقق التقوى؛ فإن تشريع الصيام يُصلح الفرد الذي إذا صلح صلح المجتمع الصغير والكبير وكذلك أيضًا يحقق التقوى.

يخبر تعالى بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان، وهذا فيه تخفيف للأمة حين يعلمون أنهم أنهم ليسوا بدعًا من الخلق في فرض الصيام عليهم، وإن كان في هيئات مختلفة، ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه، ومن التقوى أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي

تميل إليها نفسه، متقربا بذلك إلى الله، راجيا بتركها، ثوابه، وهذا أصله الحل فتركه للحرام من باب أولى وأحرى.

ثم جاء التخفيف الآخر وهو أن الصوم أياما معدودات أي قليله سهلة، ثم سهل تسهيلا آخر. فقال: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} وذلك للمشقة، في الغالب، رخص الله لهما، في الفطر، ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام أخر إذا زال المرض، وانقضى السفر، وحصلت الراحة، ولم يشترط التتابع، {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} أي: يطيقون الصيام {فِدْيَةٌ} عن كل يوم يفطرونه {طَعَامُ مِسْكِينٍ} وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتما، فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم، بأسهل طريق، {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ }[سورة البقرة:184] سواء كان ذلك من جهة الإطعام وهو أن يزيد على المسكين في المقدار الذي يُخرجه للمسكين، أو أن يزيد في عدد المساكين. وخيَّر المطيق للصوم بين أن يصوم، وهو أفضل، أو يطعم، ولهذا قال: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ} وبقي هذا الحكم للشيخ والشيخة غير القادرين على الصيام.

ثم فصلت الآيات وقت الصيام وبينت أنه في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن باعتبار أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر وكذلك الذي ابتدأ فيه نزول القرءان هداية للناس إلى الطريق المستقيم وبيان لطريق الحق من الباطل والهدى من الضلال، ولما كان النسخ للتخيير، بين الصيام والفداء خاصة، أعاد الرخصة للمريض والمسافر، لئلا يتوهم أن الرخصة أيضا منسوخة [فقال]{ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} ثم ختم هذه التخفيفات بقوله{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها؛ ثم بين علة الأمر ببيان العدد وهو مراعاة إكمال عدة الصوم بقوله {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ} لئلا يتوهم متوهم، أن صيام رمضان، يحصل المقصود منه ببعضه، فدفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته، وأما علة الأمر بالتكبير {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ } أي التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد، فيكون علامة على انقضاء الصوم؛ وأما علة الشكر { وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } للترخيص والتيسير أي شكر الله تعالى عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده.

هداية .... وتدبر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا	توجيه الخطاب لأهل الإيمان لأنهم المتأهلون للقبول عن الله -تبارك وتعالى. فهو يُخاطبهم من أجل الإذعان، والاستجابة والانقياد، فإن هذا من الإيمان الذي يتحقق به الكمال في إيمانهم، حتى يستتم.
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	أي فرض وجاء الفعل مبني على ما لم يسم فاعله، لأن الذي فرضه وكتبه معلوم لدى المخاطبين، وهو الله فهو المُشرع وحده. **قال أبوحيان صاحب "البحر المحيط":** "التكاليف الشاقة يعبر عنها بصيغة الفعل الذي لم يسم فاعله، بخلاف ما يكون به الاستبشار، ونحو ذلك، فيأتي مبنيًا للمعلوم {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [سورة الأنعام:54]{ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [سورة المجادلة:21] لأن الشيء اذا كان مُحببًا لدى المُخاطبين أضافه -تبارك وتعالى- إلى نفسه، وجاء الفعل بالبناء للمعلوم.
	قدَّم هنا الجار والمجرور فلم يقل: كُتب الصيام عليكم؛ وذلك بأن هؤلاء قد خوطبوا بالصوم، وفُرض عليهم، وتعلَّق بذمتهم، فقدّم ما يتعلّق بهم على غيره فبدأ بمن شُرع له الحكم، وقدّمه على الحكم المشروع
كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ	تفيد المسابقة في الخيرات والمعنى: هذا التكليف الشاق قد فُرض على من قبلكم، فلستم بأول من يُفرض عليه، فهنا يحصل المسارعة والمُنافسة، وبعض أهل العلم يقول: كان أهل الكتاب يزيدون للاحتياط، يزيدون قبله بيوم، وهكذا على مر الأجيال، وتعاقب القرون كثُرت هذه الزيادات، حتى صار صومهم خمسين يومًا؛ ولهذا نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان بيوم أو يومين، من أجل أن لا يكون ذلك ذريعة للزيادة في الشهر، كما وقع لأهل

	الكتاب.
	فضل أمة الإسلام لأن الله أراد أن يُكمل لهذه الأمة الفضائل التي كانت للأمم قبلها، مع زيادة هذه الأمة على هؤلاء جميعًا.
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	ذكر العلة؛ ليُخفف ذلك عليكم وأن هذا من أجل مصلحة كبرى تتحقق لكم، هي تربية للنفوس على التقوى وذلك أن الصوم يحصل معه الجوع والعطش؛ وذلك يكون سبيلاً إلى شِبع الجوارح، فإن الباطن إذا جاع شبعت الجوارح فلم تمتد العين للنظر للحرام، ولم ينطلق اللسان بالحرام، وكذلك لا تمتد اليد للبطش الحرام، أو تخطوا الرجل إلى الحرام، وإذا شبع البطن جاعت الجوارح، فتطلب الشهوات، والانغماس في اللذات، وتضعف وتفتر عن طاعة ربها ومولاها. فالجوع مظنة للخفة والنشاط في طاعة الله -تبارك وتعالى، خلاف ما يتوهمه كثير من الناس، يظنون أن الصوم مدعاة للكسل والفتور والنوم؛ وذلك يرجع إلى أمر نفساني، وليس يرجع إلى حقيقة تقوم بذواتهم.
	ذكر التقوى في أول آية في الصوم، من أجل أن يدخل الإنسان في هذه العبادة، وهو مُحدد هدفه من هذا الصيام، أن يُربي التقوى في نفسه، ويحرص العبد أن يكون تقيًا، وإذا صار تقيًا فإنه لا يمكن أن تمتد عينه بالنظر إلى الحرام، ولا ينطلق لسانه بالكلام بالحرام، ولا يمكن أن تمتد يده إلى الحرام، أو تخطو رجله إلى الحرام لذا قال النبي: { من لم يدع قول الزور، والعمل به، والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه}.
	إنْ لم يَزِدْ صيامك في تُقاك ، فإنما هو إنهاك لِقواك
أَيَامًا مَعْدُودَاتٍ	خفيفة قليلة يسيرة وهذا كله من رحمته -تبارك وتعالى- بعباده، ولطفه بهم، أن سهل ويسر عليهم هذه العبادة الشاقة، وبهذا نُدرك أن هذه الشريعة مبناها على الرحمة، فحينما يُكلفهم بتكليف مثل هذا يتلطف بهم غاية التلطف

	سرعة انقضاء الشهر، وكثير منا يتأسف حينما يقرُب رحيل الشهر، ويشعر أنه قد مضى من بين يديه، وتفلت ولم يقض منه نهمته، ولم يستغل الأوقات والساعات من هذا الشهر الاستغلال اللائق به فهذا يدعو أهل الإيمان إلى الجد والاجتهاد في استغلال لحظات هذا الشهر، والعمر هكذا كله يمضي سريعًا، وتمضي السنون
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ	خفف عنهم، ويسر عليهم في البداية، حينما شرعه بأن لم يجعله لازمًا على كل مُكلف، وإنما شرعه على سبيل التخيير، فمن شاء صام، ومن شاء أطعم، ولم يُقيد هذا المرض بنوعٍ من الأمراض، وإنما أطلقه، فمتى كان هذا المرض يَشق معه الصوم مشقة مُعتبرة، أو أنه يتأخر معه البُرء، فإنه يُباح للإنسان الفطر، وكذلك أيضًا السفر لم يُقيده بالسفر الطويل بعيد الشُقة، ولم يُقيده أيضًا بما يحصل معه المشقة الكبيرة المُعتبرة، فيجوز له الفطر ولو لم يحصل له شيء من المشقات، وما حصل من الوسائل بعد ذلك، كما نرى اليوم في وسائل النقل المُريحة، التي قد لا يحصل معها مشقة للمُسافرين، ومع ذلك يُباح لهم السفر، فهذا من رحمته -تبارك وتعالى وكذلك أيضًا من لُطفه ورحمته وتخفيفه أنه جعل القضاء غير مُقيد بوقت يُكافئ تلك الأيام في الطول أو القِصر أو الحر والبرد أو في شهر معين، أو بعد رمضان مُباشرة
	مشروعية التخفيف والتسهيل والتيسير في المطالب الشاقة فإذا كان ربنا -تبارك وتعالى- وهو العزيز الحكيم حينما شرع هذه العبادة الشاقة تلطف بالعباد، ويسر وسهل عليهم هذه العبادة بهذه الوجوه من التسهيل، فهكذا يُؤخذ منه أن من يُطالب غيره بأمر يشق عليه أن يتلمس وجوه التيسير، سواء كان ذلك في الأهل والأولاد، أو كان ذلك في الأعمال التي تُناط بالآخرين، مما نُكلفهم به، أو غير ذلك

	مشروعة التدرج للترقي إلى الوصول إلى المراتب العالية العبادات تحتاج إلى توطين النفوس عليها، سواء كان ذلك في الإنسان مع خاصة نفسه، أو كان ذلك مع غيره، فمن الناس من ربما يغلب عليه الاندفاع وتعلو همته، فيريد أن يقوم الليل كله، وأن يصوم صيام داود، وأن يختم كل ثلاث، فيفعل ذلك ثم ينقطع، لأنه لم يتدرج، فمن لم يكن له عهد بقيام الليل، فإنه يمكن أن يُصلي وقتًا يسيرًا ثم يزيد بعد ذلك حينما تتوطن نفسه على هذا، فإذا توطنت نفسه على ما بعده ترقى بها إلى مرتبة فوق ذلك ومثل ذلك فيمن لا عهد له بصوم التطوع، فيمكن أن يبتدأ بصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ثم يصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع، ثم له بعد ذلك أن يصوم يومًا، وأن يُفطر يومًا، وهكذا في قراءة القرآن، فيبدأ بجزء في كل يوم، فإذا توطنت نفسه عليه، وصار عادة له لا يُخل بها، انتقل إلى ما هو أكثر من ذلك، شيئًا فشيئًا، حتى يختم في سبعة أيام، ثم في ثلاث أيام.
وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ	المُبادرة إلى الخيرات والفضائل والدرجات العالية، لأن الإنسان لايدري ما يعرض له فيما بعد.
شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ	الارتباط بين رمضان والقرآن، فالقرآن كتاب الهداية أُنزل في هذا الشهر، ورمضان شهر القرآن والصيام، فيحصل التعلق بالله -تبارك وتعالى- في هذا الشهر المبارك، لأنه نزل فيه القرءان الذي يشمل على أنواع الهدايات والبيان والرشاد؛ فينبغي أن تُنقى القلوب وتُصفى لتلقي هذه الهدايات؛ ولما فيه من تصفيد الشياطين، وفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار، فأبواب الهداية مُشرعة، والموفق من وفقه الله -تبارك وتعالى ، ومن هنا فإن القلوب ينبغي أن تُقبل على تلمس الهداية في شهر رمضان ما لا تُقبل في غيره، وإن كان ذلك مُتاحًا في سائر أوقات السنة ونزول القرآن في شهر رمضان كان بنزول: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [سورة العلق:1] وعلى القول

	الآخر: بنزوله إلى السماء الدنيا قبل نزول (اقرأ) فهذا قبل شرع الصوم؛ لأن الصوم لم يُشرع إلا بعد الهجرة إلى المدينة، إذًا هذا شهر القرآن قبل أن يكون شهر الصيام، فينبغي العناية بكتاب الله -تبارك وتعالى، والإقبال عليه، وأن يُعمر الليل والنهار بقراءة كتاب الله وتدبره، والتفكر بمعانيه، وما تضمنه من الهدايات.
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ	هداكم إلى الإيمان والإسلام، وجعلكم من خير أمة أخرجت للناس، وهداكم إلى الصيام هداية إرشاد، فبيّن لكم شرائع الدين، وبيّن لكم ميقات الشهر المبارك، فهذه كلها هداية إرشاد، وبيّن لكم تفاصيل الصيام، وأحكام الصوم، وكذلك هداية التوفيق، حيث وفقكم للإسلام، وهدى قلوبكم إلى طاعته، والاستجابة لمرضاته، ووفقكم لصيام الشهر، وقد حُرم منه من حُرم: إما لعجز عن ذلك، أو لكونه لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يُراعِ حدود الله، وأنتم وفقكم وهداكم هداية توفيق للصوم، فهذه نعمة عظيمة يفرح بها أهل الإيمان.
هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ	الحكم المعلق على وصف يزيد بزيادته، وينقص بنقصانه، فبقدر التقوى يزيد الاهتداء بالقرآن، فيكون للعبد من الاهتداء بقدر ما عنده من التقوى، فالتقوى والاهتداء بكتاب الله هذا كله يحتاج إلى قلب قابل زكيًّا نقيًّا نظيفًا طاهرًا؛ ليصلح فيه التفكر والاتعاظ والاعتبار والانتفاع بكتاب الله فإذا كان الذي في السماء لا يمسه إلا المطهرون، وهي الأرواح الطاهرة، يقول شيخ الإسلام: فكذلك الذي بين أيدينا لا تدخل معانيه، ولا تنال هداياته إلا القلوب الطاهرة.
يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	قدّم هنا الجار والمجرور المُتعلق بالمكلفين مما يدل -والله تعالى أعلم- على العناية بهم، وأن هؤلاء هم المقصود بالتيسير والتسهيل والتخفيف وفيها حسن الظن بالله، إذا كان الله -تبارك وتعالى- لا يريد فيما أمرنا به ما يعسر علينا، فكيف يُريد ما يكون ضررًا، وفسادًا لنا؟، فكل ما شرعه الله لعباده فهو خير لهم، ولو أن الأفهام لم تبلغ في مداركها حكمة الله -تبارك وتعالى- في بعض التشريعات، فينبغي على

	المؤمن أن ينقاد ويُسلم، وأن يستحضر هذا المعنى جيدًا.
	اليُسر هو ما شرعه الله لعباده، لا أن يكون اليُسر بالخروج من ربقة التكليف، وأن تُنتهك حدود الله، وأن تُضيع محارمه بحجة أن الدين يُسر
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ	يقول ابن عباس -رضي الله عنهما: "حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يُكبروا الله، حتى يفرغوا من عيدهم فيكون هذا التكبير شِعارًا للمسلمين، ترتفع به أصوات الرجال في مساجدهم ومجامعهم وأسواقهم وطُرقاتهم، ونحو ذلك.
	لما كان العيد موضع الفرح والسرور والبهجة، وكان مما رُكب في طبع النفوس أنها قد تتجاوز في أحوال الفرح الحد الذي رُسم لها، إما غفلة، وإما بغيًّا، جاء الأمر هنا بالتكبير ففرحة العيد لا تحمل على معصية الله -تبارك وتعالى، وتجاوز حدوده، وإنما يتذكر المؤمن أن الله أكبر من كل شيء، فيمتلأ القلب من إجلاله وتعظيمه ومهابته والخوف منه دون ما سواه فهو أكبر من مطلوبات النفس، ومن شهواتها، ومحبوباتها، وأكبر من لذاتها، وأكبر من محابه، وأكبر من الناس أجمعين، فيخافه، ويلزم طاعته في العيد.
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	الشكر هو ظهور أثر النِعمة على المُنعم عليه بالقلب باستحضار النِعمة، وباللسان باللهج بذكرها وذكر المُنعم، وكذلك بالجوارح بالعمل بطاعة الله -تبارك وتعالى، واجتناب مساخطه. ولما ذكر الله رخصه وتيسيره على العباد ناسب أن يُعقب بترجي الشكر فنشكره على إرادة اليُسر بنا، ونشكره على أنه لا يُريد بنا العُسر، ونشكره على إكمال العدة، وأن نُكبره على ما هدنا للإسلام، وللشهر، ولتفاصيل الأحكام المُتعلقة بالصيام وغيره.

	فيها التخلص من الالتفات إلى النفس والعُجب والزهو، ورؤية العمل، لأن من يشكر الله يستحضر فضله - تبارك وتعالى- عليه، وأنه صاحب الفضل والمنة، فهو الذي هدى، ومن ثَم فإن العبد مهما فعل في صومه، وجد واجتهد بقراءة القرآن والصدقات وقيام الليل، وما إلى ذلك، هو يتذكر أن الله هو الذي هداه لذلك، فيحتاج إلى أن يشكر على كل عبادة وهداية هداه الله إليها، ومن هنا لا محل إطلاقًا للغرور والإعجاب بالنفس، والإدلال بالعمل على الرب -تبارك وتعالى، فما منك شيء، وإنما الفضل لله وحده. ولننظر إلى الأنصار حينما خاطبهم النبي{ ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي}، إلى آخر ما ذكر -عليه الصلاة والسلام- فكانوا يقولون: لله المن والفضل، وهكذا يكون المؤمن، ينبغي ألا يلتفت إلى عمله وجُهده وبذله، وإنما يلتف إلى أن الله قد هداه وحباه ووفقه، فهو يحتاج إلى شكر لتثبت هذه النِعم، وتُستجلب الزيادة.